سنن القيادة الإلهية في التاريخ

تتضمن دراسة لصلح الإمام الحسن وثورة الإمام الحسين عليهما السلام

على ضوء سنن التطوّر التاريخي في القرآن الكريم

سماحة آية الله الشيخ محسن الأراكي

www.ketab.ir

سرشناسه : اراكي، محسن، ١٣٣٤ —
عنوان ونام پديدآور : سنن القيادة الالهية في التاريخ/ محسن اراكي.
مشخصات نشر : تهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، ١٣٩٤.
مشخصات ظاهري : ١١٢ص
شابك : ٩-٢٤٤-١٦٧-٩٦٤-٩٧٨
وضعيت فهرستنويسي : فيپا.
يادداشت : عربي.
يادداشت : چاپ قبلي: قم: دانشگاه اديان و مذاهب، ١٤٣٢ق. = ١٣٩٠.
موضوع : حسن بن علي(ع)، امام دوم، ٣—٥٠ ق ـ صلح با معاويه
موضوع : حسين بن علي (ع)، امام سوم، ٤—٦١ ق — سياست
موضوع : رهبري ـ جنبه‌هاي قرآني
موضوع : قرآن و سنت
شناسه افزوده : مجمع جهاني تقريب مذاهب اسلامي
رده‌بندي كنگره : ١٣٩٤ ٤ الف ٩ ر/ BP١٠٤
رده‌بندي ديويي : ٢٩٧/ ١٥٩
شماره كتابشناسي ملي : ٣٩٢٨٨١١

www.ketab.ir

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
المعاونية الثقافية

سنن القيادة الإلهية في التاريخ

تتضمن دراسة لصلح الإمام الحسن وثورة الإمام الحسين عليهما السلام
على ضوء سنن التطوّر التاريخي في القرآن الكريم

المؤلّف: سماحة آية الله الشيخ محسن الأراكي
الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ المعاونية الثقافية
الطبعة: الأولى — ١٤٣٧هـ.ق / ٢٠١٦م
الكميّة: ١٠٠٠
السعر: ٦٥٠٠٠ ريال
العنوان: الجمهورية الإسلامية الإيرانية/طهران
ص. ب: ٦٩٩٥ ـ ١٥٨٧٥ تلفكس: ٠٠٩٨-٢١-٨٨٣٢١٤١٢

كلمة الناشر

قال الله عزّ من قائل:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي دَوَاءَ دَائِكُمْ وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ»[2].

---

(١) سورة ق: ٣٧.

(٢) **نهج البلاغة**: الخطبة ١٥٨.

www.ketab.ir

سنن التاريخ في القرآن

إنَّ مفهوم سنن التاريخ يُعدّ من المفاهيم القرآنيّة الأساسيّة، ويعتبر فتحاً عظيماً للقرآن الكريم؛ فإنّ القرآن الكريم - في حدود ما نعلم - أوّل كتاب عرفه الإنسان أكّد على هذا المفهوم، وكشف عنه، وأصرَّ عليه، وقاوم - بكلّ ما لديه من وسائل الإعلام والتفهيم - النظرة العفويّة، أو النظرة الغيبيّة الاستسلاميّة في تفسير الأحداث.

الإنسان العادي كان يفسّر التاريخ بوصفه كومة متراكمة من الأحداث، يفسّره على أساس الصدفة تارة، وعلى أساس القضاء والقدر والاستسلام لأمر الله سبحانه وتعالى تارةً أخرى. وقد قاوم القرآن الكريم هذه النظرة العفويّة الاستسلاميّة، ونبّه العقل البشري إلى أنّ هذه الساحة لها سنن، ولها قوانين، ولكي تستطيع أن تكون إنساناً فاعلاً مؤثراً، لابدّ لك من أن تكتشف هذه السنن، وتتعرّف على تلك القوانين؛ لكي تستطيع أن تتحكّم فيها، وإلا تحكّمت هي فيك، وأنت مغمض العينين. افتح عينيك على هذه القوانين؛ لكي تكون أنت المتحكّم فيها، وليس العكس.

هذا الفتح القرآني الجليل هو الّذي مهّد إلى تنبيه الفكر البشري بعد ذلك بقرون إلى أن تجري محاولات لفهم التأريخ فهماً علمياً. وبعد نزول القرآن بثمانية قرون، بدأت هذه المحاولات على أيدي المسلمين أنفسهم، فقام ابن خلدون بمحاولة لدراسة التأريخ، وكشف سننه وقوانينه، ثمّ بعد ذلك بأربعة قرون - على أقل تقدير - اتّجه الفكر الأوروبي في بدايات ما يسمّى بعصر النهضة

www.ketab.ir

(الرونسانسي)، نحو تجسيد هذا المفهوم الّذي ضيّعه المسلمون، حيث لم يتوغّلوا إلى أعماقه. وبدأت لدى الغربيّين أبحاث متنوّعة ومختلفة حول فهم التأريخ وفهم سننه، ونشأت على هذا الأساس: اتّجاهات مثاليّة، وماديّة، ومتوسّطة، ومدارس متعدّدة، كلّ واحدة منها تحاول أن تحدّد هذه السنن التاريخيّة. وقد تكون المادّيّة التاريخيّة أشهر هذه المدارس وأوسعها تغلغلاً، وأكثرها تأثيراً في التأريخ نفسه.

إذاً كلّ هذا الجهد البشري - في الحقيقة - هو استمرار لهذا التنبيه القرآني، ويبقى للقرآن الكريم مجده في أنّه طرح هذه الفكرة لأوّل مرّة على ساحة المعرفة البشريّة[1].

إنّ ممّا يَحُزّ في نفس الباحث المسلم - وهو يقلّب طرفه في المكتبة الإسلاميّة - ألّا يجد إلّا النزر اليسير من المصادر الّتي تُعنى بعلم الاجتماع الإسلامي، ويزداد المرء ألماً وحسرة، حينما يجد مصنّفات غربيّة - بمختلف اللغات - لا عدّ لها ولا حصر في هذا المضمار الحيوي المهمّ. وقد نسج على منوالهم جُلّ من كتبوا في هذا الحقل في العالمين العربي والإسلامي.

وحينها يطلّ سؤال أشدُّ إيلاماً من وخز الضمير: تُرى أين هو تراث الفكر الاجتماعي لأمّة قال عنها القرآن الكريم:

---

(١) عن كتاب **السنن التأريخيّة في القرآن الكريم**، للإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر ﷺ، ص٦٢، دار التعارف، لبنان.

www.ketab.ir

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾[١] ؟!

أين هو- على أقلّ تقدير- الموروث الفكري الاجتماعي لأمّة استطاعت من خلال اعتناقها للإسلام إزاحة قطبي قيادة عالم يومذاك؛ وهما الامبراطوريّة الفارسيّة والامبراطوريّة الرومانيّة؟! أمّة حكمت العالم لقرون متطاولة من الأندلس غرباً إلى حدود الصين شرقاً؟ أليس من خلل التوازن بمكان ألّا يكافئ نتاج الفكر الاجتماعي للحضارة الإسلاميّة -برمّتها- ولو بعضاً من عطاء النبوة الّذي استمرّ لثلاثة وعشرين عاماً، وعطاء القرآن العظيم الّذي ما زال بين ظهرانيها حتّى هذا اليوم..!

ولأنّ رسالة الإسلام هي الرسالة السماويّة الخاتمة الّتي لم تحدّد بزمان ومكان، نزلت على رسول الله للناس كافّة، وهم مادّة التغيير، فقد اختصّ القرآن العظيم بالكثير من السنن والضوابط الّتي تحكم وتنظم المجتمع الإسلامي والإنساني عموماً، وأكّد على السنن والضوابط في الساحة التاريخيّة، وإمكانيّة استنطاقها لاستجلاء الدروس والعبر، وصيانة المجتمع الإنساني والإسلامي من التفكك والانهيار. قال سُبحانَهُ وَتَعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٢].

---

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

(٢) سورة الزمر: ٢٧.

www.ketab.ir

أنزل الله سُبحانَهُ وتَعالىٰ قرآنه العظيم على الرسول الأمين محمّد ﷺ كتاب هداية، ومنهج حياة؛ ليخرج الناسَ كافّة من الظلمات إلى النّور. يقول عَزّمن قائل في مطلع سورة إبراهيم عليه السلام:

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[1].

نجد خوارق الإعجاز والبلاغة تتجلّى في الآية آنفة الذكر؛ إذ جمعت عناصر المحوّل التاريخي الثلاثة؛ وهي: الرسالة، والرسول، والناس، وكذلك: الهدف، والغاية من الرسول، الهداية الإلهيّة إلى بني البشر؛ ألا وهي: انتشال الناس من وهدات الضلال والذلّ والاستعباد إلى سموّ المجتمع العابد لله سُبحانَهُ وتَعالىٰ:

﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[2].

و على مدى التأريخ كلّه، كانت العلاقة بين الإمامة والأمة - طاعةً أو معصيةً - هي الّتي رسمت مسيرة حركة التأريخ، وبذلك شُيّدت عليها كلّ صروح الحضارة الإنسانيّة الّتي عرفها البشر.

و من أسفٍ ألّا تحظى مآسي أمّة الإسلام الّتي عصفت بها منذ قرون طويلة، وما حلّ بأمّة الإسلام لم تحظ بدراسة تحليليّة وفق السنن التاريخيّة

---

(١) سورة إبراهيم: ١.

(٢) المصدر نفسه.

www.ketab.ir

الّتي أكّد القرآن الكريم على استنطاقها، واستخلاص الدروس منها، وصولاً إلى يوم الخلاص لاستنقاذ أمّة الإسلام ممّا هي فيه.

صلح الحسن وثورة الحسين عليهما السلام: قراءة في المنهج

في معالجته هذا «صلح الحسن وثورة الحسين عليهما السلام من منظور السنن التاريخيّة في القرآن الكريم» ينهج العلامة الشيخ محسن الأراكي - كما في مصنّفات له أخرى - سلوك إخضاع ظواهر اجتماعيّة عصفت بأمّة الإسلام منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله للتحليل والاستقراء. وبعد تشخيصها، ينطلق إلى القرآن الكريم، وهو كتاب الله الّذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾[1] ليبدأ معه عملية حوار، واستنطاق سننه التاريخيّة الّتي أقرّها الله عزّ وجلّ، وصمّمها، ووضعها كونيّاً؛ لا تشريعيّاً. فهو كتاب هداية، ومنهج حياة؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النّور، ولا زال القرآن يصدح هاتفاً بالبشريّة متسائلاً:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[2].

وكما يقول عنه سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) سورة فصّلت: ٤٢.

(٢) سورة محمّد صلى الله عليه وآله: ٢٤.

www.ketab.ir

«ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي وَدَوَاءَ دَائِكُمْ وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ»[١].

إنّه منهج عقلي، وأسلوب رصين بديع، ابتكره وصنّف وتألّق فيه رائد الفكر الإسلامي المعاصر **الإمام الشهيد محمّد باقر الصدر**ﷺ الّذي تتلمذ عليه العلّامة الشيخ الأراكي.

يلاحظ المصنّف المشكلة الاجتماعيّة المعاصرة، بل ربّما استحضرها من رفوف التاريخ، إذا ما كانت قائمة، ليبدأ عمليّة التحليل والتشخيص، ومن ثمّ العودة إلى القرآن العظيم لاستنطاقه، وتحكيمه؛ لأنّه ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٢]، وبالتالي تحديد الطريقة القرآنية للمعضلة القائمة.

ينطلق العلّامة الأراكي من واقع الحياة، ومشاكلها المعاصرة، من المأساة والمأزق المحيط بأمّة الإسلام، ملتجئاً إلى القرآن الكريم، مستنطقاً إياه الحلّ الناجع:

«ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ ... أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ»[٣].

---

(١) **نهج البلاغة**: الخطبة ١٥٨.

(٢) سورة الإسراء: ٩.

(٣) **نهج البلاغة**: الخطبة ١٥٨.

www.ketab.ir

ولعلّ سؤالاً يطرح نفسه هنا؛ وهو: لماذا يعود العلّامة الأراكي إلى فتح ملفّ صلح الإمام الحسن عليه السلام، وثورة الإمام الحسين عليه السلام، وهما مقطعان تاريخيّان حصلا قبل أكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان؟

الجواب: بغضّ النظر عن حقّ الباحث -كأيّ باحث- في الكتابة عن أيّة قضية، وخلال أيّ مقطع زمني في التاريخ، فإنّ السبب الرئيس في وقوع هذين الحدثين المهمّين، وهما من أهمّ مفاصل التاريخ، والمسيرة الإسلاميّة، هو نمط العلاقة بين الإمامة والأمّة، بين القيادة الإسلاميّة والمسلمين أنفسهم.

فحينما أطاعت أمّة الإسلام الإمامة الإلهيّة -ممثّلة بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في المدينة المنوّرة- منحها الله النصر المؤزّر وأقيمت دولة الإسلام الكبرى لأوّل مرّة في تاريخ البشريّة، وجرت عليها سنّة إلهيّة، هي «سنّة الاستخلاف»، وحينما نكصت الأمّة، وتولّت عن نصرة الإمامة -ممثّلة بالإمام الحسن الزكيّ عليه السلام ومن بعده عن نصرة الحسين عليه السلام- جرت عليها «سنّة الاستبدال»، وفق سنن التأريخ الّتي قنّنها الحقّ سُبحانهُ وَتَعالى، فتسلّط عليهم خلفاء وولاة أمثال: يزيد بن معاوية، والحجّاج، وغيرهم.

والعلّامة الأراكي مَثَله مثل أيّ مسلم غيور يعيش اليوم مأساة الأمّة الإسلاميّة -تشتّتاً وتمزّقاً ونهباً للثروات واحتلالاً للأرض واستباحةً للاعراض والمقدّسات في معظم بقاع عالم الإسلام من قبل الكافرين- فقد عايش كذلك، أعظم نصرين تحقّقا للمسلمين خلال العقدين الأخيرين، وكانا بفضل طاعة الأمّة، ونصرتها للقيادة الإسلاميّة، كما حصل في إيران، إثر بيعة الأمّة لقائدها وإمامها الخميني الراحل قدس سره، فسقط أعتى نظام في المنطقة

www.ketab.ir

برمّتها، كان مدعوماً من قبل القوّتين الأعظم يومذاك، وانتصرت الفئة المؤمنة القليلة كذلك في جنوب لبنان على الكيان الصهيوني الّذي لم يهزم في أيّة حرب مع جيرانه، منذ ما يزيد عن نصف قرن.

لقد انتصرت الفئة المؤمنة في لبنان، بفضل طاعتها للقيادة الإسلاميّة، وثباتها، ونصرتها للإمامة، فكان النصر المؤزّر في مطلع هذا العام.

إنّ مفاهيم من قبيل: «ميثاق الطاعة والنصرة» للإمامة والقيادة، و«الاستخلاف والاستبدال»، و«سنّة الغيبة» في الإمامة والقيادة، و«الإمامة المستخلفة»، و«الأمّة المستخلفة»، و«سنّة الحضور والتصدّي»، وغيرها من المفاهيم ذات العلاقة بالقيادة والأمّة، يؤصّلها المصنّف، قرآنيّاً أوّلاً، ثمّ يستنطق كتاب الله عنها، فيأتي بالأمثلة والشواهد القرآنية، بالتالي يحاول استخلاص العبر والدروس، ومن ثمّ يضع حلولاً ناجعة لمشاكل الأمّة المعاصرة، ومنها بالتأكيد قضيّة القيادة، وطاعة الأمّة لها، وما وعد الله سبحانه وتعالى الصابرين من النصر والقاعدين عن نصرة دين الله بالخذلان والذلّ:

﴿سنّة اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسنّة اللهِ تَبْدِيلًا﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب: ٦٢.

www.ketab.ir

صلح الحسن وثورة الحسين عليهما السلام : قراءة

يبدأ العلامة الأراكي بحثه بموضوعين؛ هما: «سنّة القيادة الإلهيّة» في التاريخ، و«سنّة المرحليّة في غيبة القيادة الإلهيّة»؛ إذ تتجلّى رعاية الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى للمجتمع الإنساني من خلال القيادة العادلة، وهذه هي **سنّة الإمامة المستديمة**. يقول سُبحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1].

والسنّة الثانية: هي أنّ الخلافة الإلهيّة تبدأ فرديّة لتنتهي جماعيّة؛ إذ إنّ الغاية هي الاستخلاف الجماعي. حيث يقول عَزَّمِنْ قَائِل:

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ﴾[2].

وتتحقّق من خلال الجهد التربوي للقيادة الإلهيه، لمشيئة أمّة تقيم العدل، والمعروف، وعمارة الأرض. وحينما تفي الأمّة بمشياق نصرتها للقائد:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: ٣٠.

(٢) سورة النور: ٥٥.

(٣) سورة الأعراف: ٩٦.

www.ketab.ir